

روح المعاني

السموية ليست كتابا بالنسبة اليها ويجوز كما قال غير واحد أن تكون للعهد نظرا الى أنه لم يقصد إلى جنس مدلول لفظ الكتاب بل إلى نوع مخصوص منه هو بالنظر إلى مطلق الكتاب معهود بالنظر إلى وصف كونه سماويا غايته أن عهديته ليست إلى حد الخصوصية الفردية بل إلى خصوصية نوعية أخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي أيضا حيث خص بما عاد القرآن ومهيمننا عليه قال الخليل وأبو عبيدة : أي رقيبا على سائر الكتب السماوية المحفوظة عن التغيير حيث يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة .

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة رضى الله تعالى عنهم : أي شاهدا عليه بأنه الحق والعطف حينئذ للتأكيد وهاؤه أصلية وفعله هيمن وله نظائر بيطر وخيمر وسيطر وزاد الزجاج : بيقر ولاسادس لها وقيل إنها مبدلة من الهمزة ومادته من الامن كهراق وقال المبرد وابن قتيبة : إن المهيمن أصله مؤمن وهو من أسمائه تعالى فصغر وأبدلت همزته هاءا وتعقبه السمين وغيره بأن ذلك خطأ بل كفر أو شبيه به لأن اسماء الله تعالى لاتصغر وكذا كل اسم معظم شرعا وعن ابن محيصن ومجاهد أنهما قرآ مهيمنا بفتح الميم على بنية المفعول فضمير عليه على هذا يعود على الكتاب الأول والمعنى أنه حووظ من التحريف والتبديل والحافظ له هو الله تعالى كما قال سبحانه : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فأحكم بينهم أي بين أهل الكتاب كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم بذلك الشأن من موجبات الحكم المأمور به أي إذا كان القرآن كما ذكر فاحكم بينهم بما أنزل الله أي بما أنزله إليك فانه الحق الذى لامحيص عنه والمشمول على جميع الاحكام الشرعية الباقية فى الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء بتعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير تنبيها على ما فى حيز الصلة للحكم وترهيبا عن المخالفة والالتفات باظهار الاسم الجليل لما مر مرارا ولا تتبع أهوائهم الزائغة .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد عنهما يريد ما حرفوا وبدلوا من أمر الرجم عما جاءك من الحق الذى لامحيد عنه و عن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كأنه قيل : لاتعدل عما جاءك من الحق متبعا لأهواءهم وقيل : بمحذوف وقع حالا من فاعله أي لاتتبع أهوائهم عادلا عما جاءك أو من مفعوله أي لاتتبع أهواءهم عادلة عما جاءك واعترض ذلك بان ما وقع حالا لا بد أن يكون فعلا عاما ولعل القائل لايسلم ذلك و من كما قال أبو البقاء : متعلقة بمحذوف وقع حالا من مرفوع جاءك أو من ما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الأول

للايماء بما حيز الصلة إلى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الالهواء والنهي يجوز أن يكون لمن لا يتصور منه وقوع المنهي عنه فلا يقال : كيف نهى صلى الله عليه وسلم عن اتباع أهوائهم وهو E معصوم عن ارتكاب ما دون ذلك وقيل : الخطاب له A والمراد سائر الكلام لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا استئناف جء به لحمل أهل الكتاب من معاصريه A على الانقياد لحكمه E بما أنزل الله تعالى اليه من الحق ببيان أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره